

## أهمية النشاط التجاري بين جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا

د. سلام حسن طه<sup>(\*)</sup>

كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

### ملخص البحث

يتناول هذا البحث (النشاط التجاري بين جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا) من خلال بيان الموانئ ولاسيما (زيلع)، فضلاً عن الطرق التجارية والسلع التي نشطت تجارتها ومنها الذهب والزمرد واللؤلؤ والعاج إذ ترجع جذور النشاط التجاري بين جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا إلى عصر ما قبل الإسلام ولاسيما بين الحبشة وشبه جزيرة العرب.

يؤكد البحث أن ازدياد النشاط التجاري في بلاد الحبشة يعود الى الاستقرار الذي حل فيها بفضل انتشار الإسلام فيها منذ القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد مما له الأثر في ازدهار المدن والموانئ التي اثرت تأثيراً كبيراً في النشاط التجاري.

### The Importance of the Commercial Activity between the Eastern South of Asia, and the African eastern Sea – Coast

Dr. Salam Hassan Taha  
College of Arts  
University of Salah Ul-Den

### Summary of the Paper

This paper comprises (The commercial activity between the eastern south of Asia and African eastern sea – coast) Through the seaports Like (Zelih) in addition of the Commercial roads and the goods which being Their commercially activity has been expanded

---

(\*) استاذ مساعد في قسم التاريخ/ كلية الآداب، جامعة صلاح الدين/ أربيل.

such has the Gold, emerald, pearls and ivory which concern the principles of the commercial activity between the eastern south of Asian and African eastern sea-coast) till the age before Islam especially between Al-Habasha and Arabian Island.

This paper stressed that the increasing of the commercial activity in Al-Habasha country come from the stability of it because Islam has spreading in it from the fourth century of Al-Hijra, The tenth CD which caused to grow the cities and the ports which caused also the increaser of the commercial activity.

ترجع جذور النشاط التجاري بين هاتين المنطقتين إلى عصر ما قبل الإسلام، ولاسيما بين الحبشة وشبه جزيرة العرب، وبالذات اليمن، فمنها كان التجار والمهاجرون يعبرون البحر إلى الحبشة في الألف الأول قبل الميلاد<sup>(١)</sup>، يحملون معهم كثيراً من كنوز التراث الأصيل، فضلا عن المهارات والخبرات في عديد من مجالات الحياة كالزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من الخبرات<sup>(٢)</sup> وتعد اكسوم من مناطق اليمن المهمة بحكم امتلاكها لميناء عدول الذي يعد المنفذ التجاري الوحيد لها<sup>(٣)</sup>.

أدت اكسوم دورا كبيرا في مجال التجارة الدولية، فأصبحت من الطراز الأول<sup>(٤)</sup>، وكانت العملة المستخدمة آنذاك في المعاملات التجارية قطع الملح الذي كان قليلا في السهل الأثيوبي<sup>(٥)</sup>، كما كانت التجارة فيها حكرا على الملوك والولاة التابعين لهم في تلك المنطقة<sup>(٦)</sup>.

لقد شهدت بلاد الحبشة تطورا كبيرا في المجال التجاري، ويرجع ذلك إلى الاستقرار الذي سادها بفضل انتشار الإسلام فيها في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، إذ يعدها الاسلام دار هجرة ولم يدرجها التشريع الإسلامي دار حرب<sup>(٧)</sup>؛ فضلا عن موقعها الجغرافي المتميز وقربها من شبه جزيرة العرب وامتلاكها لعديد من الموانئ والمرافئ التجارية المهمة التي تطل على ساحل البحر الأحمر، ونظرا لأهمية تلك الموانئ فقد تطورت لتصبح مع مرور الزمن من المدن المهمة والرئيسة التي أدت دورا كبيرا في التاريخ السياسي والاقتصادي لبلاد الحبشة<sup>(٨)</sup>.

لقد أصبح الإسلام بعد انتشاره في بلاد الحبشة شيئاً واحداً مع التجارة، فقد ضعف الانتماء إلى التكتلات القبلية<sup>(٩)</sup> وأصبح التاجر الغني هو ممثل الحضارة الإسلامية فيها، إذ كانت التجارة تمثل مظهاً من مظاهر أبهة الإسلام "وصارت هي السيدة في بلادها، وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد، وأخذت تجارة المسلمين المكان الأول في التجارة العالمية"<sup>(١٠)</sup>، والمنتبع لتاريخ انتشار الإسلام فيها يجد انه انتشر في المراكز التجارية، وكان العامل الرئيس السباق في تنشيط التجارة فيها، فضلاً عن ضبطها وتنظيمها<sup>(١١)</sup>، لاسيما ان بلاد الحبشة أصبحت جزءاً من العالم الإسلامي، فازداد التعامل التجاري الإسلامي معها بعد أن زالت الحواجز العسكرية والسياسية التي كانت تحتكر خبرات تلك البلاد وثرواتها<sup>(١٢)</sup>.

لقد شجع رحلات التجار المسلمين نحو ساحل شرق أفريقيا أمور عديدة منها :

- ١- قربهم من الساحل.
  - ٢- معرفتهم الجيدة بالفلك والأنواء، وقد أكد ذلك المسعودي من خلال قوله: "ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطوال التجارب، يتوارثون ذلك قولاً وعملاً ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانها وأحوال ركودها وثورانها"<sup>(١٣)</sup>.
  - ٣- استجابة أهل البلاد إلى الدخول في الإسلام.
  - ٤- غنى البلاد ووفرة خيراتها.
  - ٥- حركة الرياح الموسمية التي خدمت حركة التجارة بين الساحل الجنوبي لشرق آسيا وشرق أفريقيا.
- لقد كانت حركة التجارة بين كل من ساحل جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا محكومة بحركة الرياح في المحيط الهندي إذ تؤدي الموسميات الشمالية الشرقية إلى قدوم السفن من شبه جزيرة العرب وغيرها ؛ في حين تؤدي الموسميات الجنوبية الغربية الى العودة إلى أوطانهم<sup>(١٤)</sup>، وكل هذه العملية تبدأ بشهر تشرين الثاني حتى شهر آذار<sup>(١٥)</sup>.

كما أدى انتشار الإسلام في بلاد الحبشة إلى نشأة مدن جديدة وتطورها بشكل عام، لان التجارة كانت ولا تزال من أهم الوسائل التي تعمل على تسهيل مهمة التبادل التجاري والحضاري والفكري بين الأمم، ومن الممالك التي قامت آنذاك:

- ١- مملكة شوا (٢٨٣-٦٨٤ هـ / ٨٩٦-١٢٨٥ م)<sup>(١٦)</sup>.
- ٢- مملكة أوفات الإسلامية التي قامت في بلاد الحبشة على أنقاض مملكة شوا وذلك في (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
- ٣- دوارو (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
- ٤- وارايبيني (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
- ٥- وهدية (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، فضلا عن ممالك أخرى كمملكة شرخا، وبالي ودارة<sup>(١٧)</sup>.

كما اشتهرت بلاد الحبشة بامتلاكها عددا من الموانئ المهمة التي برز دورها من خلال نشاطها التجاري لوقوعها على طريق القوافل ومن أهمها:

#### أ- ميناء زيلع :

يعد ميناء زيلع من الموانئ المهمة وذلك لكونه مركزا لانطلاق التجارة إلى مناطق مختلفة كالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد التي ارتبطت تجاريا مع بلاد الحبشة<sup>(١٨)</sup>، وأكد أهمية ذلك الميناء عديد من المؤرخين ومنهم ابن بطوطة الذي أشار إليه قائلا "وسافرت من مدينة عدن أربعة أيام<sup>(١٩)</sup> إلى مدينة زيلع، وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة"<sup>(٢٠)</sup>. وكان عدم مبيت ابن بطوطة في مدينة زيلع بسبب انبعاث الروائح الكريهة لكثرة السمك ونحر الإبل في أزقتها<sup>(٢١)</sup>، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى كبر الحجم وكثافة السكان الذين يأتون إلى التجارة، فقد وصفها المقرئ قائلًا : "فيها شيوخ يحكمون بين أهلها وعندهم ينزل التجار ويضيفونهم ويبتاعون لهم"<sup>(٢٢)</sup>. كما امتاز هذا الميناء بالبضائع والسلع التي ترد إليه من مصر واليمن، بعد نقلها عن طريق السفن التي تنطلق من ميناء القلزم [السويس]، وقد أشار الحميري إلى ذلك مؤكدا بقوله "وأكثر مراكب القلزم تصل إلى هذه المدينة بأنواع من التجارة التي يتصرف بها من بلاد الحبشة، ويخرج منها الرقيق

والفضة والذهب<sup>(٢٣)</sup>، وقد ذكرها ابن المجاور واصفاً: "ومراكب الزيلع القادمين من أرض الحبشة كل عام بألف ومائتي دينار"<sup>(٢٤)</sup>.

لم تعد التجارة بعد انتشار الإسلام في بلاد الحبشة حكراً على الملوك والحكام فأصبحت عامة، وأهم ما فيها هو إتباع التجار للأخلاق الحميدة والصفات التي وضحتها وحددها الإسلام ضمن الكتاب والسنة النبوية الشريفة، مما فتح الباب على مصراعيه أمام ازدهار التجارة في تلك البلاد وأدى إلى استقرارها ورخائها اقتصادياً، فقامت ممالك أخرى كمملكة أوفات الإسلامية التي ازدهرت تجارياً، إذ أشارت الروايات التاريخية إلى أن مؤسسها هذه المملكة أبناء بني هاشم ومنهم من قال أبناء عبد الدار تحديداً وأياً كان منهم فهم قریشيو الأصل<sup>(٢٥)</sup>.

لقد سيطرت مملكة أوفات الإسلامية على التجارة الخارجية آنذاك بحكم موقعها المهم الذي يربط بين ميناء زيلع وميناء الداخل، لاسيما الطريق الشرقي الذي يحاذي نهر أوأش حتى هضبة شوا الذي يرتاده التجار الذين يتخذون من ميناء زيلع مركزاً لهم ولتجارتهم<sup>(٢٦)</sup>.

ازدهرت الحياة المعيشية للسكان وانخفضت أسعار السلع والبضائع الحياتية المهمة، بسبب سيطرة الملوك والحكام واهتمامهم بالتجارة الخارجية، فضلاً عن ازدهار ممالك الزيلع، وقد أكد المؤرخون هذا الازدهار من خلال رواياتهم التي أوردوها، فقد أشار المقرئ قائلًا "ومملكة أوفات عامرة بالقرى، والأسعار بها رخيصة، فالموز يباع كل عرجون بربع درهم فيه نحو مائة موزة، واللحم يباع كل طابق وهو ثلاثون رطلاً بدرهم ونصف"<sup>(٢٧)</sup>، ومن المظاهر الحضارية التي تدل على ازدهار الحياة آنذاك على مستوى العامة والحكام، هي مظاهر الترف والأبهة كاستخدام الزمرد وغيره في تزيين البلاطات الملكية<sup>(٢٨)</sup>، وكثرة امتلاك السفن التجارية من قبل السكان، وقيام سكان تلك المنطقة من الأثرياء بإيفاد أبنائهم إلى البلاد العربية الإسلامية لغرض الدراسة<sup>(٢٩)</sup>.

**أما فيما يتعلق بأهم الطرق التجارية آنذاك فهي :**

أ- مدينة عدن<sup>(٣٠)</sup>، إذ كانت تأتي إليها السفن المحملة بالبضائع والسلع من الصين والهند، ويعد ميناء عدن من أقدم الموانئ العربية التي تنطلق منها السفن إلى سواحل

المحيط الهندي المختلفة، كما تأتي إليه السفن من مختلف البلدان المختلفة في الوقت ذاته، ومنها تتوجه إلى ميناء زيلع ومنه شمالاً إلى عيذاب وإلى قوس بالقاهرة<sup>(٣١)</sup>.  
 ب- فضلاً عن هذا الطريق كان التجار يسبرون بالطريق السابق إلى سواكن<sup>(٣٢)</sup>، ثم يخترقون السهل السوداني إلى النيل، وبعدها يصعدون براً إلى القاهرة، ثم إلى بلاد المغرب ثم ينزلون إلى حوض النيجر وساحل غانا أو إلى مملكة مالي في الغرب<sup>(٣٣)</sup>.

أدى البحر الأحمر دوراً مهماً في مجال التجارة الدولية منذ منتصف القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ومن أبرز من قام بالنشاط التجاري طائفة عرفت باسم الكارمية<sup>(٣٤)</sup>.

اتضح كيان تلك الفئة من التجار الذين عملوا بتجارة التوابل وغيرها من سلع الشرق، ونقلوها بين المحيط الهندي والبحر الأحمر ومصر وكان بروزهم في عهد الدولة الفاطمية إذ لاقت تلك الطائفة الدعم والتشجيع من قبلها، وحماية أساطيلهم من هجمات القراصنة، وكانت لهم مركزاً مباشرون منها الإشراف على تجارتهم تلك في كل من عدن والقاهرة<sup>(٣٥)</sup>.

ويأتي دور التجار الكارمية في نقل بضائع بلاد الحبشة، فكانوا ينطلقون من ميناء الطراز الإسلامي الا وهو زيلع بعد أن تتجمع فيه سلع تلك المنطقة، ويحملها الكارمي إلى مصر فيما يحمل من متاجر الشرق والبحر الأحمر كما كانت ذلك من موانئ الكارمية المعروفة بين المحيط الهندي ومصر<sup>(٣٦)</sup>.

ومما يدل على نشاط الكارمية التجاري، ومدى اهتمام سلاطين مصر بهم تلك الممارسة التي كان يقوم بها كل من صاحب سواكن ودهلك تجاه من يتوفى من تجار الكارم في بلادهما، فرفعوا شكواهم إلى السلطان المملوكي الطاهر بيبرس ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٣ م فأرسل إليهما رسوياً ينكر عليهما ذلك<sup>(٣٧)</sup>، ولكن ذلك الإنذار لم يلق أذناً صاغية من حاكمي سواكن ودهلك، ونظراً لحرص مصر على تأمين تلك المنطقة وجعلها آمنة لاستمرار تدفق سلع الحبشة وساحل أفريقيا الشرقي التي تخدم مصالح تجارة مصر وتدر عليها بالذهب والعاج وغيرها من الثروات، ونظراً لعدم استجابتهما لذلك الطلب اضطر

السلطان بيبرس إلى تجريد حملة عسكرية عام ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥م ضمت على أثرها سواكن إلى حكم مصر<sup>(٣٨)</sup>، وهكذا استطاع التجار الكارمية في ظل الأمان والاستقرار، وإزالة كافة العقبات التي تكدر نشاطهم أن يسهموا مع غيرهم من التجار العرب المسلمين في القيام بدور الوسيط التجاري، فنقلوا منتجات بلاد الحبشة وشرق أفريقيا إلى الأسواق العالمية، إلى الهند والصين وأندونيسيا وإلى أوروبا<sup>(٣٩)</sup>.

ويشير كثير من الباحثين المستشرقين إلى أن ظهور الإسلام أكبر ضربة وجهت للدولة الرومانية الشرقية إذ عزل الحبشة عن العالم وعرقل تجارتها<sup>(٤٠)</sup>، لأن ظهور الإسلام أخرج من "يدي الأولى [الدولة الرومانية] الشام وفلسطين ومصر فحرمت من أن تطل على البحر الأحمر، وحرمت الحبشة من ذلك الحليف القوي، الذي كان يمدها وقت الحاجة بالمعونة الحربية والثقافية والدينية، وكان تبادلها التجاري ذا منفعة لكليهما، وكذلك حرمت الحبشة من عميل غني هو الدولة الفارسية"<sup>(٤١)</sup>.

ومن الواضح أن هناك كثيراً من التظليلات لتشويه الإسلام، ومن الثابت تاريخياً أن حملات تحرير المسلمين لساحل شرق أفريقيا لم تكن مستمرة أو منتظمة طوال الوقت، فجزر دهلك ومصوع التي استقر بها المسلمون أيام الخلافة الأموية والعباسية، لم تكن مستمرة على طول الخط لأنها تراخت فتمكنت الحبشة من استعادة سيطرتها على السواحل حوالي نهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد وكانت لها علاقات ودية وتجارية مع اليمن<sup>(٤٢)</sup>، لقد وقعت الحبشة النصرانية معاهدة صداقة مع ابن زياد أبي الحبشي اسحق بن إبراهيم (ت ٣٧١ هـ / ٩٨١ م)<sup>(٤٣)</sup>.

ومن الواضح أن الإسلام والمسلمين لم يسيطروا على أرض الحبشة والنصارى هناك كسيطرة الدول الاستعمارية المعاصرة لأن الجميع عاشوا بانفتاحية وضمن علاقاتهم الاقتصادية والثقافية التي كانوا عليها، ففي مناطق كان النصارى في ذمة المسلمين، وفي مناطق أخرى كان المسلمون في ذمة الأقباش، وقد أشار المسعودي إلى هذا المفهوم بقوله: "فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع، والدهلك، وناصع، وبها خلق من المسلمين الا انهم في ذمة الحبشة"<sup>(٤٤)</sup>.

ويلحظ ان المسلمين والنصارى كانوا يعيشون في وئام وسلام تام، وتعاون فيما بينهم، فصاحب جزيرة دهلك ومن يداري صاحب اليمن، وكان يأخذ من صاحب دهلك ضرائب، فقد حدد ابن المجاور حجم تلك الضرائب ومقدارها فيذكر: "وضرائبه على جزيرة دهلك ومن بعضها ألف راس منها خمسمائة وصيف، وخمسمائة وصيفة نوبية، وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر تهاديه وتستدعي مواصلته"<sup>(٤٥)</sup>.

ومن الواضح ان الحبشة لم تكن بعزلة عن العالم، ولم تتعطل تجارتها الخارجية، فالإسلام شجع التجارة وحث عليها، وكذلك فقد ظهر الإسلام في مجتمع مكة التي عُني أهلها بالتجارة فحث عليها، وكانت المصدر الرئيس لثروة تجارة قريش، بل ان رسول الله (ﷺ) اشتغل في التجارة ومارسها، فذهب مع قوافل قريش إلى الشام<sup>(٤٦)</sup>، وكانت لهم رحلتا الشتاء والصيف، فازدادت أهمية التجارة بعد ظهور الإسلام في مجتمع حضاري تجاري، وضع لها الإسلام قوانين تنظمها.

وهكذا اتسع نشاط العرب التجاري، وتوسعت اتصالاتهم مع مناطق العالم المختلفة، وعرفوا مواد جديدة أسهمت في زيادة ثرواتهم وترفعهم ورفائهم، فازدادت عنايتهم بالمناطق التي تتواجد فيها المواد التجارية ولاسيما الحبشة وشرق أفريقيا، فأصبح التاجر هو ممثل الإسلام والحضارة الإسلامية، وأكد هذه الحقيقة المؤرخ Zee في قوله: "وانتعثت التجارة مع ظهور الإسلام ووصول العرب إلى شرق أفريقيا"<sup>(٤٧)</sup>، كما أشارت سونياهاو الى ذلك المفهوم بقولها: "وكان لانتشار الاسلام اعظم الأثر في تجارة الشرق"<sup>(٤٨)</sup>.

ومن أهم المؤشرات على تطور التجارة بعد الاسلام انها كانت قبل الاسلام تتم بالمبادلة، وبطريقة التجارة الصامتة إذ كان يبذل الملح بالذهب وغيره من المواد الأخرى، فاذا جاء التجار العرب وضعوا الملح ثم غابوا فيضع أهل الحبشة مقابله الذهب، فإذا أخذ التجار الذهب أخذوا هم الملح، وإذا لم يعجبهم نقلوا السلعة إلى مكان ثانٍ حتى تزداد لهم القيمة<sup>(٤٩)</sup>.

وكانت الطريقة المتبعة في تجارة المبادلة تلك أن يضرب التجار العرب طبولاً عند وصولهم حيث يوجد الذهب يعلمون فيها بوصولهم، فعندما يسمع التجار صوت الطبل يخرجون ما عندهم من البضائع وخاصة الملح وبعض السلع مثل الزيت وقصب السكر

والخناجر والرماح والملابس فيضع كل تاجر بضاعته في جهة منفردة عن الأخرى ثم يذهبون ليعودوا مرة أخرى فيأتي الأحباش بالتبر<sup>(٥٠)</sup>، فيضعون بجانب كل متاع شيئاً من التبر وينصرفون ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجانب بضاعته من التبر ويضربون الطبول وينصرفون<sup>(٥١)</sup>.

أما السلع التي نشطت تجارتها بعد الإسلام والتي كانت تصدرها بلاد الحبشة للعالم الإسلامي والبلدان الأخرى فكان من أهمها الذهب، والزمرد، واللؤلؤ والعاج.

#### أ - الذهب

كان الذهب ولا يزال من أهم السلع التي تهافتت عليها دول العالم قديماً وحديثاً، ونشطت تجارة الذهب في الحبشة بعد الإسلام ولاسيما أن الإسلام نفسه كان عاملاً من عوامل تنشيط التجارة والعصب الذي حرّك التطور العالمي في العصر الوسيط<sup>(٥٢)</sup>.

ومن المعروف أن الذهب كان معروفاً بالحبشة منذ عصور ما قبل الإسلام، ولم تكن له قيمة كبيرة فكانوا يبيعونه للتجار العرب كما هو بالأكوام مقابل بعض الحاجيات الأساسية لهم كالملايس والزيت وقصب السكر والزجاج<sup>(٥٣)</sup>.

ولما انتشر الإسلام في الحبشة اتصل المسلمون مباشرة بتجار الذهب من الأحباش وعرفوا منهم أهمية الذهب وتطور تعدينه وتجارته بعد أن كانوا قبل انتشار الإسلام يعتمدون على الطرق البسيطة التي لا تتعدى مرحلة جمعه والنقطة من الأنهار بعد فيضاناتها، وكان على شكل كتل في حجم حبات الفول تعرف باسم (تتكاراس) (Tankaras)<sup>(٥٤)</sup>.

أما أهم مناطق إنتاج الذهب في بلاد الحبشة، فقد أشار إلى بعضها العمري فذكر أن الذهب كان : "من داموت وسحام وهما بلاد معادنه بالحبشة"<sup>(٥٥)</sup>. في حين يشير الهمذاني إلى وجود الذهب في عدة مناطق فيذكر : "ومن معادن أرض النوبة والحبشة العلافية نسبة إلى بني العلاف بن سليم بن منصور وهو جيد التبر وأشدّه حمرة ومن قطان التبر دهلك وعيذاب وباضع وسواكن"<sup>(٥٦)</sup>.

ونظراً لتمييز أفريقيا بشكل عام بكثرة الذهب في أراضيها لاسيما أنه من النوعية الجيدة الخالية من الشوائب لذا اندفع التجار لشراؤه قبل شراء غيره من مناطق الذهب الأخرى في العالم، وقد أشار الدمشقي الى تلك الظاهرة فذكر: "ولما كانت بلاد غانة وزغوا وتكرور والحبشة إلا القليل خالية من الملح عارية من السبخات كانت معادن الذهب كثيرة بها لسلامة المعدن من الطعم المفسدة له"<sup>(٥٧)</sup>، وهذا يعني أن الذهب فيها من النوعية الجيدة، أو من خيرة التبر لعدم وجود الأملاح والشوائب الأخرى التي تقلل من جودته.

وتقع أهم مناطق الذهب في الحبشة في الجنوب الغربي في منطقتي داموت وسحام وتلك المناطق قريبة من ممالك الطراز الإسلامي، وهي مناطق وثنية تسكنها قبائل الجالا، ويمر بها الطريق التجاري البري يأتي من زيلع إلى المناطق الداخلة ثم يصعد الطريق إلى الهضبة الحبشية<sup>(٥٨)</sup>.

يأتي أولئك الوثنيون بأحمال الذهب إلى تجار الممالك الإسلامية ليحصلوا منهم على ما يحتاجونه من حاجياتهم الأساسية كالمح وبعض المواد الغذائية الأخرى والأقمشة<sup>(٥٩)</sup>.

ومن الواضح أن الذهب يستخرج من تلك المناطق الوثنية، وينقل منها إلى زيلع عبر الطريق البري الداخلي والمعروف بطريق التشرشر وعلى الرغم من وعورة مسالكه وصعوبتها لكثرة الجبال، إلا أنه الطريق المفضل بسبب توفر المياه فيه، وقربه ومروره بممالك الطراز الإسلامي<sup>(٦٠)</sup>.

وهكذا ينقل الذهب بعد ذلك إلى زيلع وهناك يتم تصديره إلى سائر أنحاء الوطن العربي وبعض مناطق الجنوب الشرقي لآسيا والهند، فضلا عن مصر إذ يضرب فيها نقوداً في مصانع ضرب العملات لتنتشر بعدها إلى معظم أجزاء الوطن العربي ومن ضمنها ممالك الطراز الإسلامي، التي تعتمد في معاملاتها التجارية على دنانير مصر ودرهمها<sup>(٦١)</sup>.

ومن الواضح تاريخياً أن ممالك الطراز الإسلامي ولاسيما ملوك وفات أدت دوراً واضحاً في نقل الذهب من مناطق استخراجها<sup>(٦٢)</sup> في الحبشة إلى ميناء زيلع وقامت بتصديره إلى سائر أنحاء الوطن العربي، وأن مملكة وفات كانت قد تزعمت ممالك الطراز

الإسلامي، وقد أكد تلك الحقيقة العمري عندما ذكر: "جميع ملوك هؤلاء الممالك تعظم مكانة صاحب وفات وتتفاد له بالمعاضدة"<sup>(٦٣)</sup> ويعود ذلك التعظيم والانقياد لقوتها الاقتصادية والعسكرية ولوقوعها في منطقة مكنتها من السيطرة على الطرق التجارية والقيام بعمليات استيراد الذهب وتصديره إلى العالم الخارجي.

لقد كان للعرب المسلمين تأثير واضح على الأحباش ولاسيما في مجال تطوير الإنتاج وتصدير الذهب فبعد أن كانوا يبيعونه ويقايضون به تبرا خالصا بدأوا يتعلمون عمليات صهره وتصفيته من الشوائب ثم يبيعه لتجار العرب بشكل منظم وعلى هيئة سبائك<sup>(٦٤)</sup>. وعلى الرغم من وجود الذهب إلا أن معاملات أهل الحبشة التجارية كانت تتم بثلاث وسائل<sup>(٦٥)</sup>، منها ما هو بالاعراض مقايضة وهو الأغلب وفي ذلك يذكر العمري: "وغالب أهل البلاد يتعاملون مقايضة بالأغنام والأبقار والحبوب وغير ذلك"<sup>(٦٦)</sup> وفي المعنى نفسه يذكر القلقشندي: "تباع البقر بالأغنام ونحو ذلك كما في القسم الأول من بلاد الحبشة"<sup>(٦٧)</sup> أما في أقاليم الطراز الإسلامي وخاصة في خمسة منها فتعاملها يكون بالذهب والفضة فالعمري يذكر: "... إلا في خمسة أقاليم من الطراز الإسلامي وهي إقليم مدينة اوفات يتعاملون بالذهب والفضة"<sup>(٦٨)</sup>. ويؤكد ذلك القلقشندي اثناء قوله: "ومنها ما هو بالدنانير والدرهم لمصر والشام ونحوهما وهو (وفات) وأعمالها خاصة"<sup>(٦٩)</sup>.

ومن الواضح أنه لم تكن هناك دار لضرب النقود في ممالك الطراز الإسلامي، والسبب في ذلك هو التنافس وعدم اتفاقها على عملة واحدة، فكانوا إذا ضربت أي مملكة منها عملة لن تستخدمها المناطق الأخرى وفي ذلك يقول القلقشندي: "وليس باوفات سكة تضرب بل معاملاتهم بدنانير مصر ودرهمها الواصلة اليهم بصحبة التجار، وذلك أنه لو ضرب احد منها سكة في بلاده لم ترج في بلاد غيره"<sup>(٧٠)</sup>.

والذي يبدو من ظاهر نص القلقشندي أن تجار مصر كانت لهم مكانة كبيرة في أسواق الطراز الإسلامي، وانهم كانوا أكثر لذا غلبت عملاتهم العصرية وراجت في الحبشة، ولاسيما ان العملات المصرية كانت أقوى اقتصاديا من عملات الطراز الإسلامي.

أما النوع الثالث من المعاملات فكانت عملتهم ومعاملاتهم بالحديد تسمى الواحدة من ذلك الحديد الحكنة<sup>(٧١)</sup> ويسمىها المقريزي الحكنة بفتح الحاء المهملة وضم النون

والكاف، وهي طول الابرة في عرض ثلاث ابر<sup>(٧٢)</sup>، والأقاليم التي تتعامل بالحنكة هي : دوارو، وأقليم أرابيني، وأقليم شرخا، وأقليم هديا، وعرف المؤرخ العمري القيمة الشرائية للحنكة : "كل ثلاثة آلاف بالعدد قيمتها درهم واحد"<sup>(٧٣)</sup>.

#### ب - الزمرد (٧٤)

كان الزمرد من المعادن التي ازدهرت تجارتها بعد انتشار الاسلام، ونظراً لأهمية ذلك المعدن ولاسيما اهتمام الأثرياء باقتنائه وعلى رأسهم الملوك، قام التجار العرب بتصديره الى مناطق العالم المختلفة ولاسيما الى الهند والصين والمغرب.

أما مناطق توفره فكانت في أرض البجة. فالمسعودي يذكر : "وفي أرضهم معادن الزمرد"<sup>(٧٥)</sup>، ويحدد موقعه في الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط، والموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة مفاوز وجبال البجة تحمي ذلك المكان<sup>(٧٦)</sup>.

ونظراً لأن معظم بلاد البجة صحراوية، فقد وصفها بعض المؤرخين فذكروا : "ليس بأرض البجة قرى ولا خضب وإنما هي بادية جدبة"<sup>(٧٧)</sup> لذا اعتمد اقتصاد البجة على حرفة الرعي فهم حسب ما يذكر المقرئزي : "أهل بادية يتبعون الكأ حيثما كان للرعي"<sup>(٧٨)</sup>. ومن الواضح أن قبائل البجة لن تنتفع منذ القدم من المعادن الموجودة فيها ولاسيما الذهب والزمرد أيام الفراعنة في مصر<sup>(٧٩)</sup> الذين سيروا حملاتهم لاستخراج الذهب والفضة والمعادن الأخرى من بلاد بنت Punt الواقعة جنوب مصر<sup>(٨٠)</sup>. كما أن مملكة أكسوم هي الأخرى أرسلت بعثاتها وجيوشها لجلب الذهب وغيره من المعادن من أرض النجاة على طول خط عطيرا وبركة والقاش وتم اخضاعهم بحسب ما تذكر نقوش ملكهم عزابنا<sup>(٨١)</sup>.

وبعد انتشار الإسلام في المنطقة وما حصل من اختلاط العرب بالأحباش ازدهرت عمليات التعدين وكثر التنقيب ولاسيما عن الذهب علما بأن معاهدات البقط الموقعة مع النوبة ثم البجة ساعدت على زيادة النشاط التجاري بين العرب والأحباش<sup>(٨٢)</sup>، وقد أشار المؤرخ المسعودي الى تلك الزيادة فذكر: "أن في أرض البجة معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم على النجب الى بلاد النوبة فيغرون وينسبون، وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة الى ان قوى الإسلام وظهر، وسكن جماعة من المسلمين

معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجة<sup>(٨٣)</sup>.

وقد أدت تلك المصاهرات الى تقوية أواصر الصلات بين العرب من عدنان وبين البجة ويشير العمري الى أهمية قبائل البجة في تلك الفترة لأنهم بعد اسلامهم أخذوا يغيرون على بلاد الكفار ويفتحون البلاد أمام الإسلام، وقد فوض السهم سلطان مصر ان ما يفتحونه يكون تحت سلطانهم. كما أمر العرب المتطوعة هناك بمساعدتهم وان يكونوا تحت راية قائدهم لنصرة الدين<sup>(٨٤)</sup>.

ويظهر أثر الاسلام واضحا من خلال ما نقله العرب المسلمون الذين استقروا وخالطوا البجات بالزواج والمصاهرات من تقنيات أعمال التعدين واستخراج المعادن، وكيفية جمعها وتنقيتها من الشوائب وصهرها، كذلك السيطرة على المناجم التي كان البجة وخاصة الزناج يعملون فيها كعبيد أيام الفراعنة والرومان<sup>(٨٥)</sup>، إذ وجدت المعادن من الذهب والزمرد طريقها الى القاهرة، ويؤكد المقرئزي القوة الاقتصادية وبالتالي العسكرية لبشير بن مروان، أثر سيطرته على المناجم حيث أصبح زعيما إذ تألفت له قوة: "يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من الجدارية"<sup>(٨٦)</sup>.

ويظهر أثر الإسلام على تجارة الزمرد الذي انفردت به أرض البجة، بحسب ما يذكر ابن حوقل بأنها المنطقة الوحيدة في العالم التي يوجد فيها الزمرد<sup>(٨٧)</sup>، وعلى الرغم من المبالغة في رأي ابن حوقل، فإنه لا يمكن القول بان ذلك الزمرد كان من النوع الجيد الذي ليس له مثيل في سائر أنحاء العالم<sup>(٨٨)</sup>.

ويظهر ذلك الأثر في اهتمام الخلفاء العباسيين في تلك المنطقة اضافة الى العوامل السياسية والدينية إذ كان يدخل الى بيت المال خمس الدنانير عملة عالمية في التجارة الدولية<sup>(٨٩)</sup>.

وازداد الاهتمام بتلك المعادن الثمينة وتطوير استيرادها واستخراجها خلال الحكم الفاطمي ففي عهد الأمر بالله (٤٩٥-٥٢٤ هـ / ١١٠٢-١١٣٠ م) تم استخراج كميات كبيرة من الذهب والزمرد، ولكثرة ما كان يستخرج من الذهب أمر الأمر بالله ببناء دار لسك النقود الذهبية بمدينة قوص عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م لتكون قريبة من مصادر الذهب<sup>(٩٠)</sup>.

وكان تجار العرب قبل الإسلام يتحملون المتاعب ولاسيما في صحراء عيذاب عندما كانوا ينقلون البضائع التي يحملونها على ظهر الجمال إلى مصر وكان ذلك الخطر يكمن في قطاع الطرق والنهاب الذين يغيرون على القوافل التجارية ويشنون غاراتهم حتى صعيد مصر<sup>(٩١)</sup>.

وبعد إسلامهم شهدت المنطقة استقرارا واضحا شجع على ازدهار النشاط التجاري وأمن التجار على بضائعهم حتى أصبح البهار وغيره من البضائع على جانب الطرقات لا يجرأ أحد على أخذها حتى يأتي صاحبها فيأخذها، وقد أشار المقرئزي إلى ذلك بقوله: "فكانت الصحراء وما تزال عامرة أهلة بما يصدر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد حلقات بها القفول صاعدة هابطة لا يعترض لها أحد إلى أن يأخذها صاحبها"<sup>(٩٢)</sup>.

وأكد الرحالة ابن جبير ذلك الحال فيذكر: "وفي الطريق بين عيذاب وقوص شاهدنا أحمال الفلفل وخيل إلينا لكثرتة أنه يوازي التراب قيمة، ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقي بقارعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة والسلع مطروحة لا حارس لها"<sup>(٩٣)</sup>.

ومن الواضح أن من مؤثرات الإسلام أمن الحجاج إلى بيت الله الحرام على أرواحهم من أولئك النهاب، فسافر حجاج مصر والمغرب عن طريق ميناء عيذاب بعد أن يمر بالفسطاط ثم إلى قوص، ومنها إلى عيذاب حتى ساحل جدة وأكد المقرئزي سلامة ذلك الطريق فيذكر: "فحجاج مصر والمغرب لا يتجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط إلى قوص ثم الإبل من قوص، ويعبرون هذه الصحراء إلى عيذاب ثم يركبون في جلاب إلى جدة ساحل مكة، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر إلى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء إلى قوص ومنها إلى مصر"<sup>(٩٤)</sup>.

ومن الواضح أن الطريق الصحراوي هو أقرب إلى مكة لأن المسافة تقطع في خمسة عشر يوماً، لذا فإن معظم القوافل التجارية الآتية من مصر تسلك ذلك الطريق<sup>(٩٥)</sup>، وأما إذا سافر احد عن طريق البحر فانه يبلغ الجار<sup>(٩٦)</sup>، في عشرين يوماً ومنها إلى مدينة

الرسول (ﷺ) ومنها إلى مكة المكرمة، أما إذا واصل السير في البحر وتجاوز الجار فانه يبلغ ساحل اليمن، ومن هناك إلى ساحل عدن فإذا جاوزه ينتهي إلى الهند، وهكذا حتى الصين، في حين انه إذا سار من عدن إلى الجنوب مثلا نحو الغرب فانه يذهب إلى زنجبار الحبشة<sup>(٩٧)</sup>.

وبعد أن تأتي السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن وتحمل البضاعة بعد ذلك على ظهور الجمال إلى أسوان ومنها إلى مصر، وتعود بما تحتاجه تلك المناطق من مواد كالقطن والتمور والسكر إلى الهند والصين<sup>(٩٨)</sup>.

ومن الواضح أن امتلاك البجة للإبل والاعتماد عليها، جعلهم مسؤولين عن نقل البضائع بما وفره لهم انتشار الإسلام من ازدهار تجاري خلال الفترة من القرن ٤-٨ هـ/ ١٠-١٤ م، فقامت قوافلهم بنقل تلك البضائع عبر الصحاري، وجعلوا من أنفسهم مسؤولين عن توفير المستلزمات كلها التي تتطلبها تلك الرحلات الطويلة، التي تبلغ مدتها قرابة ثلاثين يوماً تسير فيها تلك القوافل التي تضم اعدادا هائلة من الجمال تعذر معها القدرة على إحصائها وقد وصف تلك الحالة طافور فذكر: "لا أستطيع أن أذكر شيئاً لأنني لا أحب أن أظهر بمظهر المسرف في كلامه"<sup>(٩٩)</sup>.

كما أصبح البجة مسؤولين أيضاً عن نقل حجاج بيت الله الحرام الى مكة المكرمة، مما قدم للحجاج تسهيلات تجارية ثانياً، فكانوا هم المرشدين للحجاج في تلك الصحاري نظراً لاشتهارهم بالأمانة أيضاً<sup>(١٠٠)</sup>.

### ج- اللؤلؤ

يعاني الباحث من شحة المعلومات عن اللؤلؤ في الحبشة وكيفية استخراجها وعن تجارته والمناطق التي تستورده.

فالمعروف ان اللؤلؤ ومنه الدر وهو اللؤلؤ الكبار<sup>(١٠١)</sup>، اللؤلؤ الجوهر<sup>(١٠٢)</sup> ويذكر الثيفاشي: "أن الجوهر اسم عام للأحجار المعدنية ثم خصوه باللؤلؤ لفضله عليها"<sup>(١٠٣)</sup>. والحيوان الذي يتولد فيه اللؤلؤ هو الأصداف، وهو دقيق القوام يفتح بإرادة منه وينضم كذلك، واختلفوا في تولده<sup>(١٠٤)</sup>.

وكان من أشهر المغاصات في الحبشة مغاص دهلك<sup>(١٠٥)</sup>، وعلى الرغم من ان هناك إشارة إلى ان اللؤلؤ في مناطق البحر الأحمر من النوع الرديء<sup>(١٠٦)</sup> إلا أن اللؤلؤ يختلف باختلاف المناطق التي يتواجد فيها، وما يمتاز به كل موقع أو مغاص، فالتربة والمواد التي يتغذى عليها الحيوان تشكل اللؤلؤ، فالون الرمادي أو الرصاصي هو المميز للآليء دهلك<sup>(١٠٧)</sup>.

ونظرا لما امتاز به لؤلؤ الحبشة من شهرة فإن التجار بعد جمعه يأتون به الى زيلع إذ يتم تصديره إلى الخارج مع بقية المواد التي اشتهرت بها بلاد الحبشة<sup>(١٠٨)</sup>. أما فترة الغوص فتبدأ في أول شهر نيسان الى آخر شهر أيلول إذ تتجمع مراكب الصيادين وعلى كل مركب عشرات من الرجال البارعين في الغوص ومعهم كثير من الأحجار الثقيلة والحبال، فابن بطوطة يذكر ان: "الغواص يضع على وجهه شيئا من عظم السلحفاة، يتصنع من هذا العظم شيئا يشبه المقرض يشده على أنفه ويده ويدهنون أجسامهم بمواد تبعد الهوام عنهم"<sup>(١٠٩)</sup>.

ومن الواضح ان عملية صيد اللؤلؤ تتطلب جهدا ووقتا كثيرا فإن التجار كانوا يقومون باستئجار الغواصين مقابل أجر معين أو مقابل حصة من حصيد الصيد<sup>(١١٠)</sup>. ونظرا لكون لؤلؤ دهلك من النوعية الممتازة فقد وجدت منه لؤلؤة كبيرة الحجم وهي التيمة التي كانت عند الخليفة عبد الملك بن مروان فيذكر أن وزنها ثلاثة مثاقيل، كانت حائزة لجميع صفات الحسن، فهي مدرجة نقية رطبة رائقة لذلك سميت التيمة<sup>(١١١)</sup>.

#### د. العاج

يشكل العاج منتوجا مهماً بالنسبة لصادرات الحبشة منذ أقدم العصور فهو من السلع الثمينة التي صدرتها الحبشة منذ أقدم العصور، فمؤلف كتاب التطواق يعدد السلع التجارية التي كانت تصدر من ميناء عدولس، وكان العاج من ضمن تلك السلع فيذكر: "... وكولي Cole مدينة داخلية وأول سوق للعاج ومن ذلك المكان الى سديدة الشعب المدعو بالاكسومي تستغرق الرحلة خمسة أيام (قرابة مائتين وأربعين كيلو متراً) وتجلب الى

اكسوم جميع أنواع العاج من بلد يقع وراء النيل خلال مقاطعة تسمى سينيوم Cymene، ومن هناك الى عدول<sup>(١١٦)</sup>.

ونظرا لوفرة الأفيال في المنطقة، فقد كانت مصدرا للعاج، وقد كانت تجارة العاج قبل انتشار الإسلام في بلاد الحبشة غير متطورة<sup>(١١٣)</sup>، وعلى الرغم من اصطياذ الأحباش للأفيال إلا أنهم لا يستخدمون عاجه في حياتهم اليومية وتلك الظاهرة بارزة في كل مناطق أفريقيا عامة، إذ أكد المسعودي ذلك فذكر: "ومع كثر اصطياذهم للفيل، وجمع عاجه غير منتقعة بشيء من ذلك في آلتها<sup>(١١٤)</sup>".

ونظرا لأهمية العاج في التجارة العالمية، ازداد الاهتمام به بعد انتشار الإسلام، فالجاحظ يذكر: "والعاج متجر كبير ويتصرف في وجوه كثيرة"<sup>(١١٥)</sup>، فازداد الطلب عليه، ولاسيما انه من النوع النفيس<sup>(١١٦)</sup>، وتمتلك الحبشة أعداداً كبيرة من الحيوانات المتوحشة التي من بينها الأفيال، فالمؤرخ العمري يذكر: "وحوشهم البرية الأسد والنمر والفهد والفيل..."<sup>(١١٧)</sup>.

أما عملية الصيد، فتتم في الحبشة عن طريق اصطياذها بالرماح المصنوعة من الفولاذ<sup>(١١٨)</sup>، أما الزنج فيقتلونها عن طريق وضع شجر معين مع لحائه وأغصانه في الماء، فعندما تأتي الأفيال لتشرب منه يسكرها فيأتون بحرابهم ويقتلونها<sup>(١١٩)</sup>.

ونظرا لجودة العاج الأفريقي فقد ازداد الطلب عليه بعد انتشار الإسلام، وكان مطلوبا لجودته في الصين والهند وجاء اهتمام ملوك الصين والهند بعاج أفريقيا لرغبتهم فيه<sup>(١٢٠)</sup>، ولاسيما ان العاج الأفريقي والحبشي يتفوق على العاج الهندي في الجودة لأن الأخير هش ضعيف فهو غير صالح للأغراض الاحتفالية والصناعية<sup>(١٢١)</sup>، كما يمتاز العاج الأفريقي عموما بكبر حجمه بعكس الهندي<sup>(١٢٢)</sup>.

أما الصينيون فاهتموا بشراء العاج الأفريقي ولاسيما ملوكهم وخاصتهم إذ أنهم:  
أ- يفضلون الأعمدة العاجية، كما كانوا يوشون ثيابهم المزخرفة بالعاج المحفور<sup>(١٢٣)</sup>.  
ب- لايجدون الأفيال في الصين.

أما أوربا فإنها أخذت تستورد العاج من الحبشة بسهولة حفره وتشكيله لأنه ناعم وملائم للحفر<sup>(١٢٤)</sup>.

جاء الاهتمام بالعاج بعد انتشار الإسلام، فقام التجار العرب بتصديره إلى مناطق العالم التي استخدمته في أغراض كثيرة، إذ استعمله الهنود في نصب الخناجر، وفي قوائم سيوفها، كما عملوا منه الشطرنج والنرد وفي تزيين العرائس<sup>(١٢٥)</sup>.

ونتيجة لزيادة تصدير العاج بازدياد الطلب عليه ولاسيما ان وزن أنياب بعض الفيلة قرابة مئتي من<sup>(١٢٦)</sup>، ويصل وزن بعضها قرابة ثلاثمائة من، وذلك ما شاهده ناصر خسرو<sup>(١٢٧)</sup>، كما امتازت بضخامة حجمها إذ يصل ارتفاع البعض منها إلى أكثر من اثني عشر قدما<sup>(١٢٨)</sup>.

ومما يؤيد الاهتمام بتجارة العاج في الحبشة في الفترة الإسلامية هو اهتمام الأمويين، ومن بعدهم العباسيين بالفيلة واقتنائها، ففي زمن معاوية أدخلت الفيلة إلى دمشق فخرج أهل الشام لينظروها. وفي زمن الخليفة العباسي المنصور ازداد اهتمامه بالفيلة واقتنائها فلاحظ يصف ذلك الاهتمام فيذكر: "ولم يجتمع لأحد من ملوك المسلمين من الفيلة ما اجتمع لأمير المؤمنين المنصور، اجتمع عنده أربعون فيلا فيها عشرون فحلا"<sup>(١٢٩)</sup>.

وأشار المسعودي إلى اهتمام الخليفة المنصور فذكر: "عني بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها، واقتنائها لها وإعدادها للحرب والزينة في الأعياد وغيرها فإنها أوطأ مراكب الملوك وأمهدا"<sup>(١٣٠)</sup>. وكذلك الخليفة العباسي المقتدر (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)، الذي احضر مجموعة من الأفيال للزينة والاستعراض وقيامها ببعض الحركات الرياضية، يقوم بتدريبها مدربين مختصون بذلك، فالمسعودي يذكر: "وكان قد أخرج الفيلة للرياضة"<sup>(١٣١)</sup>.

ومن الواضح أن تطور تجارة العاج بعد انتشار الإسلام لم يقتصر على أنياب الفيلة فقط، بل شمل الحيوان نفسه إذ استخدمت الفيلة لأغراض الزينة وللأغراض العسكرية، فالزهري ذكر: "... وأهل مصر يجلبون إليهم التحف ويدخلون بها إلى أقاصي الحبشة... ولأنهم ما بين مصر والمغرب يصيدون كثيرا من الفيلة ويحملونها إلى مصر وإلى غيرها من البلاد ومن عندهم تجلب أنيابها إلى مصر والشام"<sup>(١٣٢)</sup>.

### هوامش البحث

- ١- جيان (ريان السفينة)، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية من أفريقيا الشرقية (القاهرة، ط١ : ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م)، نقله إلى العربية ملخصا ، يونس كمال: ص ٢٥.  
Jones, A.H- and Monroe, A history of Ethiopia (Oxford, London: 1969), P 7.
  - 2- Encyclopadia of Roligion and Ethics (New York : 1959,) Art: Abyssinia, Vol. I , P. 55.
  - 3- See: Stigand, C.H. , The land of zing (London : 1913) , P. 1
  - 4- Budge Sir E.A. Wallis, A history of Ethiopia: Mubio and Abyssinia Anthropological publications (London : 1966), Vol. I, P 137.
  - 5- See: Abir, Mordechai, Ethiopia and the Red sea)London: 1980) : P.8.
  - 6- See: hunting fond, G.W.B., The Historical Geography of Ethiopia (Oxford University) : P. 62.
- و بجيکور / جاك، شحنات من الملح في الصحراء، رسالة اليونسكو، العدد ١٦٧، (القاهرة : ١٩٧٥ م): ص ١٩.
- ٧- ينظر : الاضطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد، الممالك والمسالك (دار القلم، بيروت : ١٩٦١ م)، ص ٣٢ ؛ ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، صورة الأرض (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت : د/ت): ص ٥٢.
- ٨- ينظر : نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الاسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤-١٠ هـ / ١٠-١٦ م (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل : ١٩٨٩ م): ص ١٢٨.
- ٩- نفسه: ص ٢٠٥.
- ١٠- المتز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة : ١٩٥٧ م) : ٢ / ٣٦٥.
- ١١- ينظر : دائرة المعارف الإسلامية، مادة : "تجارة" : ٩ / ٢١٥.

- ١٢- العمري، ابن فضل الله، احمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأنصار (مطبعة دار الكتب، القاهرة : ١٩٢٤م)، ص ٣٧.
- ١٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة : ١٩٦٤م)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد : ١/ ١١٢.
- 14 - See: Reusch, Richard, History of East Africa (New York : 1961), P. 34;
- وعثمان، شوقي عبد الغني، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠ هـ / ٦٦١-٤٩٨م) (الكويت : ١٩٩٠م)، ع ١٥١، ص ٨٧.
- ١٥- حافظ، صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي (عالم المعرفة، الكويت : ١٩٨٢م)، ع ٤٩: ص ٣١.
- 16- Hunting ford, : P. 76 ; Triming ham, Islam in Ethiopia.
- ١٧- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان (دار الطباعة السلطانية، P. 58. باريس : ١٨٤٠م)، ص ١٤٠؛ العمري، مسالك، ص ٣٦، المقريزي، احمد بن علي، الامام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (مطبعة التأليف : ١٩٣٩م)، قام بنشره : محمد مصطفى زيادة: ص ٧-٨.
- ١٨- الاصطخري، الممالك والمسالك: ص ٣٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ص ٦١.
- ١٩- وعليه تكون المسافة من عدن الى زيلع حوالي (٩٢ كم).
- ٢٠- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار (مطبعة وادي النيل، القاهرة : ١٨٧٠م) ص ١٥٠؛ ينظر : جبان، وثائق تاريخية: ص ١٧٦.
- ٢١- نفسه.
- ٢٢- الامام: ص ٢٦.
- ٢٣- الروض المعطار في خبر الأقطار (بيروت : ١٩٨٤م)، تحقيق : احسان عباس: ص ٢٨٢.
- ٢٤- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى بتاريخ المستبصر (منشورات المدينة : ١٩٨٦م): ص ٩٩.
- ٢٥- العمري، المسالك، ص ٣٧؛ المقريزي، الامام: ص ٩٠.

- ٢٦- كامل، مراد، في بلاد النجاشي (دار المعارف، مصر : ١٩٤٩م): ص ١٠.
- ٢٧- الالمام: ص ٦.
- ٢٨- القلقشندي، احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة: د/ت) : ٥ / ٣٢٢ ؛ المقريزي، الالمام: ص ٧.
- ٢٩- النقيرة، محمد عبدالله، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له (دار المريخ، الرياض: ١٩١٢م): ص ٢٠٢ ؛ أمين، محمد محمد، العرب والدعوة الإسلامية في الصومال في العصور الوسطى، مجلة الدارة (الرياض : ١٩٨٤م) ع ٢٤، السنة ١٠: ص ٢١١.
- ٣٠- عدن : دهليز الصين وفرضة اليمن وخرانة المغرب ومعدن التجارة، ينظر : المقدسي، محمد بن احمد بن أبي بكر، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن: ١٩٠٢م)، ص ٨٥، سميت عدن من العدن، وهو الإقامة لأن تبع كان يحبس فيها اصحاب الجرائم، وتقع بأقصى اليمن على ساحل البحر ترقى اليها مراكب الهند، وهي بلدة قشفة قليلة الخير الا انها بلد تجارة وريح ؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا (بغداد : د/ت): ص ٣٠٤.
- ٣١- الهمذاني، أبو محمد الحسن بن محمد، صفة جزيرة العرب (دار الآداب، بيروت : ١٩٨٣م)، تحقيق : محمد بن علي الأكوغ، ص ٩٤ ؛ الحميري، الروض المعطار: ص ٤٠٨.
- ٣٢- سواكن : مدينة بقرب جزيرة عيذاب عامرة في ساحل بلاد البجاة؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٢. وتقع على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر؛ ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن والبحر الأحمر (الخرطوم : ١٩٨١): ص ٢٣.
- ٣٣- احمد دراج، عيذاب من الثغور العربية المندثرة، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي (بغداد : ١٩٧٨م)، ع ٧: ص ٥٧.
- ٣٤- الكارم : مأخوذ من الكانم انتشر هذا الاسم بين من اشتغلوا بتجارة البهار، القلقشندي، ضوء الصبح: ص ٢٥٣ ؛ وهم فئة التجار الذين بيدهم تجارة البهار، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة : ١٩٣٩م)

- ج ١ / ٣ / ٨٩٩، وانظر : جواتياين، س.د.، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم  
الاسلامية (الكويت : ١٩٨٠م)، تحقيق : عطية القوصي: ص ٢٧٩.
- ٣٥- القلقشندي، صبح الأعشى : ٣ / ٥٢٤ ؛ القوصي، عطية تجارة الكارم من وقائع  
وثائق الخيرة، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة : ١٩٧٥م) ، مج ٢٢ : ص ٢٤ .
- ٣٦- لبيب: ص ١٩-٢٠ ؛ جواتياين، دراسات: ص ٢٨٥ .
- ٣٧- المقرئزي، السلوك : ج ١ / ٣ / ٤٤٨ .
- ٣٨- نفسه : ج ١ / ٣ / ٤٧٨ .
- ٣٩- ينظر : عثمان، تجارة المحيط الهندي: ص ٤٥ ، ١٧٣ .
- 40- See: Stigand , op. cit , P.2; Jones. and Monroe, op. cit, P. 44.
- ٤١- كامل، الحبشة بين القديم والجديد: ص ٢٣ ؛ لوفران، جورج، تاريخ التجارة (بيروت :  
د/ت) ترجمة، هاشم الحسني: ص ٢٩ .
- ٤٢- عمارة، نجم الدين أبو الحسن علي الحكمي اليمني، تاريخ اليمن (دار الثقافة  
للطباعة، القاهرة : ١٩٥٧ م) تحقيق : حسن سليمان محمود: ص ٦٧ .
- ٤٣- المسعودي، مروج الذهب: ٢ / ١٩٢ ؛ انظر : رياض زاهر، دول حبشية في اليمن،  
المجلة التاريخية المصرية (القاهرة : ١٩٥٩)، مج ٨ : ص ١٠٦، وقد امتد حكم ابن  
زياد من الشرجة إلى عدن وبعد وفاته ترك طفلاً صغيراً تولت كفالته أخته هند وعبد  
حبشي يدعى رشيداً ثم خلفه مولاه حسين بن سلامة وفي عهده قويت دولة ابن زياد،  
عمارة، تاريخ اليمن: ص ٦٨ .
- ٤٤- مروج الذهب : ٢ / ١٩٢ .
- ٤٥ - تاريخ المستبصر: ص ١٨٥ ؛ الرصابي، وجيه الدين عبد الرحمن، تاريخ وصاب  
الاعتبار في التواريخ والآثار (صنعاء : ١٩٧٩م): ص ٢٥ .
- ٤٦ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية (مطبعة حجازي، القاهرة : ١٩٣٧م)  
: ١ / ١٩٣ .
- 47- See : Marsh , Zee and G.W. King morth , A history of East  
Africa (Cambridge , 1972) , p. 20.
- ٤٨ - سونيا، في طلب التوابل: ص ٣٩ .

- ٤٩ - الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجغرافيا (بدون مكان وتاريخ)، تحقيق : محمد حاج صادق: ص ١٢٢.
- ٥٠ - التبر : يقع على الذهب والفضة كما هو قبل أن يستعمل، ومنهم من يوقع التبر على جميع الجواهر الذائبة قبل استعمالها، إلا أنه بالذهب أعرف منه بالفضة. ينظر الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (مريد: ١٩٥٨م): ص ٢٠.
- ٥١ - القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد (كونتاك : ١٨٤٨م): ص ١٩.
- ٥٢ - نوري، تاريخ الإسلام: ص ١٩٨ ؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي: ص ٧٨.
- 53- See : Hunting ford, op. cit, p.62
- ٥٤- تاريخ أفريقيا : ٣٩٦ / ٢.
- ٥٥- مسالك: ص ٤١، ينظر : المقرئزي، الامام: ص ٣.
- ٥٦- الجوهرتين الحقيقتين من الصفراء والبيضاء (د.م: ١٩٦٨م): ص ٨٠.
- ٥٧- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (بورغ : ١٨٦٥م): ص ٥٠.
- ٥٨- ينظر : محمد، عوض محمد، الشعوب والسلالات الأفريقية (الدار المصرية للتأليف والترجمة : ١٩٦٥م)، ص ٢٣٩.
- ٥٩- بولم، دينز، الحضارات الأفريقية (منشورات عوينات، بيروت : ١٩٧٨م)، ترجمة : نسيم نصر: ص ٦٠ ؛ وينظر :
- Lipsky, George A, Ethiopia its people its Society its Culture  
(American University : 1962) , P 42.
- ٦٠- ينظر : رعد، رحلتي الى الشواء، مجلة المشرق (بيروت : ١٩٠٦م)، ع ١٨، السنة ٩ : ص ٨٢٣ ؛
- Trimingham, The in flwence, P. 16
- ٦١- القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٣١ / ٥.

- ٦٢- ومن أهم مناطق استخراجها: أنارية، وجافات، عرب فقيه؛ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر، فتوح الحبشة (المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٤م)، تحقيق: فهيم محمد شلوت: ص ٢٢٨.
- ٦٣- مسالك: ص ٤٣؛ وينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/ ٣٣٢
- ٦٤- ينظر: نوري، تاريخ الإسلام: ص ٢١٢.
- ٦٥- القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/ ٣٣١.
- ٦٦- مسالك: ص ٤٨؛ أما عند المقدسي، فإن تعاملهم بالثياب، احسن التقاسيم: ص ٣٤٣.
- ٦٧- صبح الأعشى: ٥/ ٣٣١.
- ٦٨- مسالك: ص ٤٨؛ المقرئ، الامام: ص ٧.
- ٦٩- صبح الأعشى: ٥/ ٣٣١.
- ٧٠- نفسه: ٥/ ٣٣١.
- ٧١- ينظر: العمري، مسالك: ص ٤٨.
- ٧٢- الامام: ص ٧.
- ٧٣- مسالك: ص ٤٨.
- ٧٤- الزمرد: الزمرد والزبرجد، حجران يقع عليهما اسمان وهما في الجنس الواحد. ينظر: ابن البيطار، ضياء الدين، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (القاهرة: د/ت): ١/ ٢٦٦.
- ٧٥- مروج الذهب: ٢/ ١٧؛ ينظر: الاصطخري، المسالك: ص ٤٧.
- ٧٦- مروج الذهب: ٢/ ٢٣؛ الكندي، فضائل مصر (القاهرة: ١٩٧١م)، تحقيق: ابراهيم أحمد العدوي وعلي محمد عمر: ص ٦٩.
- ٧٧- الاصطخري، المسالك: ص ٣٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ص ٦١.
- ٧٨- الخطط: ١/ ١٩٤.
- 79- See: Docke , C.M., The Earlist Record of Bantu, Bantu stdins, Agournal , (Johanesburg: 1938) Vol, xII, P.135.

80- See: Poul , A. A history of the Beja Tribes of the sudam (frank cass, London, 1954) , P. 23.

٨١- محفوظ، محمد عمر، انتشار الاسلام في الحبشة (اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة الموصل : ٢٠٠١م)، الفصل الثاني.

٨٢- مروج الذهب : ١٨ / ٢ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ص ٦١.

٨٣- العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ص ٧٧.

84- See: Poul, : P. 71.

٨٥- مروج الذهب: ١٨ / ٢.

٨٦- صورة الأرض: ص ٦١.

٨٧- الاستبصار: ص ٨٦.

٨٨- الطبري، محمد بن جرير / تاريخ الرسل والملوك (القاهرة : ١٩٧٩) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم : ٢٠٣ / ٩.

٨٩- ابن بعرة، منصور الذهبي الكامل، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية (القاهرة : ١٩٦٦م) تحقيق : عبد الرحمن فهمي: ص ٥٠.

٩٠- الطبري، تاريخ الرسل : ٢٠ / ٧.

٩١- الخطط : ٢٠٢ / ١.

٩٢- ابن جبير، محمد بن احمد الكناني، رحلة ابن جبير (دار مصر للطباعة : ١٩٥٥م) تحقيق : حسين نصار: ص ٧٧.

٩٣- ينظر : الخطط: ٢٢٢ / ١.

٩٤- خسرو، ناصر ابو معين الدين، سفر نامة (بيروت : ١٩٧٠م) ترجمة : يحيى الخشاب: ص ٨٦.

٩٥- الجار : مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة حوالي سبعين كيلومتراً وهي فرضة ترفاً إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين والهند، ياقوت، معجم

البلدان : ٩٢ / ٢ ؛ وينظر : الاضطخري، الممالك: ص ٢٣.

٩٦- خسرو، سفرنامة: ص ٨٦ ؛

see , Paul , : p.73.

- ٩٧- طافور، بيروخوان دياز، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي (دار المعارف، القاهرة : ١٩٦٨م) ترجمة : حسن حبشي: ص ٧٨.
- ٩٨- ابن سعيد المقرئ، أبو الحسن علي بن موسى، بسط الأرض في الطول والعرض (بيروت : ١٩٧٠م) تحقيق : خوان فرنيط خينيس: ص ٥٠.
- ٩٩- الجويري، زين الدين عبد الرحيم، المختار في كشف الأسرار نقلا من يونس شيخو، مجلة المشرق، (بيروت : ١٩٠٩م)، العدد (١)، السنة (١٢): ص ٤٥٧.
- ١٠٠- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية: ص ٢٦.
- ١٠١- التيفانوشي، احمد بن يوسف، ازدهار الأفكار في جواهر الأحجار (الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٧م)، تحقيق : محمد يوسف حسن: ص ٤٩.
- ١٠٢- القلقشندي، صبح الأعشى : ٩٨ / ٢.
- ١٠٣- نفسه : ٩٨ / ٢.
- ١٠٤- نفسه : ٩٤ / ٢.
- ١٠٥- ابن الأكفاني، نخب الذخائر: ص ٣٨.
- ١٠٦- الاصطخري، المسالك: ص ٣٢ ؛ ابن الأكفاني، نخب الذخائر: ص ٣٩.
- ١٠٧- الرحلة: ص ١٨٤.
- ١٠٨- عثمان، تجارة المحيط الهندي: ص ٢٢٣.
- ١٠٩- ابن الأكفاني، نخب الذخائر: ص ٣٩.
- ١١٠- زربو، جوزيف كي، أفريقيا وتاريخها، مجلة رسالة اليونسكو (القاهرة : ١٩٧٩)، ع ٢١٩: ص ٨.
- ١١١- القزويني، آثار البلاد: ص ٢٣.
- ١١٢- مروج الذهب : ١٥ / ٢ ؛ جيان، وثائق تاريخية: ص ٢٢.
- ١١٣- الحيوان : ٢٣١ / ٧.
- ١١٤- دافد سن، افريقيا تحت أضواء جديدة: ص ٢٢٠.
- ١١٥- مسالك: ص ٥٠.

116- The Perpilus , P.24.

١١٧- المسعودي، مروج الذهب : ٦ / ٢ ؛ القزويني، آثار البلاد: ص ٢٤.

١١٨- مروج الذهب: ٧ / ٢.

١١٩- عثمان، تجارة المحيط الهندي: ص ٧٠.

١٢٠- المسعودي، مروج الذهب : ٨ / ٢.

١٢١- عثمان، تجارة المحيط الهندي: ص ٢٣١.

122- Oliver, Roland and Mathew Gervas, History of Africa Civilization (New York : 1972) ,Vol. I , P.112.

١٢٣- المسعودي، مروج الذهب: ٧ / ٢.

١٢٤- المن : رطلان، ابن منظور، لسان العرب : ١٣ / ٤١٩، والمن يزن (٨١٢ غم)

هنتس، المكايل والأوزان: ص ٤٥-٤٦.

١٢٥- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز، المسالك والممالك (مخطوط : كلية

الآداب - جامعة بغداد)، مكتبة الدراسات العليا، ج ٢، رقم ١٢٦٠، ورقة رقم : ١٧٠.

١٢٦- سفر نامة: ص ١٠٣.

١٢٧- الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى (القاهرة : ١٩٥٨م) : ٢ / ٢٣٠.

١٢٨- الحيوان : ٧ / ١٨٢.

١٢٩- مروج الذهب : ٢ / ١١٢.

١٣٠- نفسه : ٢ / ١١٢.

١٣١- الجغرافية: ص ١٢٤.

132- Davidson , The Growth : P.87.